

قبائل الونشريس ودورهم في المقاومات

خلال الفترة الرومانية (40م-284م).

أ.خاتمي مصطفى بجامعة أحمد بن بلة وهران 01

لقد كانت جبال الونشريس من المعازل الرئيسية للمقاومة المورية المناهضة للاحتلال الروماني، حيث تحصّن بها الثوار والعديد من قبائلها المحلية داعمة لهم كالمغازيس وقبائل البوار والبقواط الذين خربوا مدينة تنس مما أدى ذلك إلى إجلائهم من موطنهم الأصلي إلى غاية سفوح الأطلس، فكل القبائل عملت على رفض الرضوخ والسيطرة الرومانية، واتخذت من الونشريس حصونا منيعة للانطلاق ضد العدو الذي كان يقف عاجزاً دون تسلقها¹، مما أدخل المنطقة ضمن الحصار العسكري، وأدى إلى وجود ردة فعل أخرى منها ثورة سيسقا في شمال الونشريس سنة 253م، وثورة الأهالي الغاضب من البوار والمغازيس والبقواط الذين رفضوا رفضاً تاماً هذا الاستيطان وهذا ما أشارت عليه بعض الوثائق حول تعرّض بعض المدن الرومانية لهجومات من طرف الأهالي من تلك القبائل، أمّا شمولية الثورة في المقاطعة المورية تمثّلت في ثورة إيديمون وفيرموس التي عمّت الونشريس إلى غاية اختراق الجيش الروماني بفرقه المساعدة في مرتفعات الونشريس، فرفعت قبائل المازيغ (Mazic) لواء المقاومة ضد القائد الرّزماني تيودورز وصدته انطلاقاً من مواقعها الحصينة بالونشريس نفسها²، وتوالت أحداث خاصة في نهاية القرن الثالث التي سيتوسع فيها نطاق حركة الاحتجاجات التي يبلغ مداها إلى ظهور الدّوارين وامتدادها خارج نويميديا مما جعل الشعب الأهلي في الجبال التلية كالونشريس يُعلن العصيان والتمرد ثمّ الثورة على هذا الاستعمار الذي دبّ فيه الضعف ولكنّه كان في كل مرة ينقذ نفسه بنهب ثروات البلاد لتعويض خسائره ولذلك كان القمع والنهب المسلطان

¹شنيبي (م.ب)، الجزائر في ظل الإحتلال الروماني، بحث في منظومة (الليمس الموريطاني) ومقاومة المور، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص.30.

²Leveau (Ph.), L'aile II des Thraces, Les tribus des Mazices et les praefectis gentis en afrique du Nord, A.Af.1974 Pp.169-178.p.172.

على الشعب الأهلي في تلك الثورة العارمة والتي سيقودها الأخوان فيرموس وغيلدون طيلة سنوات وهي المقاومة التي تذكّرنا ببسالة يوغرطة وعزة يوبا الأول وهي الثورة التي لبيّ نداءها الشعب الأهلي منها القبائل الونشيرية.

1. أصل التسمية من المصادر القديمة:

من أقدم المصادر التي نجده فيها ذكراً للونشريس بتسميته القديمة مع بقية الجبال في موريتانيا القيصرية هو "بطليموس" الإغريقي في جغرافيته تحت اسم "الجبل غاراف" ¹(GraphMons)، أما (Strabon) كما قلنا عند اجتيازه لمضيق هرقل يظهر لك في الجهة المقابلة للشاطئ الليبي (يقصد بذلك الإفريقي) المقابل لموريطانيا جبال مرتفعة تعرف عند الإغريق بأطلس وديريس (Dyris) عند البربر وهي متوازية مع الجبال الجنوبية تنغرس سفوحها الجنوبية في رمال الصحراء التي تمثّل حصن طبيعي لا يسكنها سوى الجيتول أقوى الشعوب الليبية "...، وأحيانا يصفه بمصطلح دردس ²(Durdus).

يتفق العديد من الباحثين من خلال معطياتهم الأثرية والتاريخية أنّ أقدم مصطلح يُطلق على هذه الجبال حسبما استخلصوه من فقرات (Pline L'ancien) في تاريخه الطبيعي الضخم حيث ذكر بأنّ: "جبال أنكوراريوس الواقعة بموريطانيا الداخلية كانت تزخر بالخشب الوفير من شجر العصفية الذي أستغل من طرف الرومان لحد الاستنزاف وذلك لصنع موائدهم ³". أما (Leveau.Ph)، الذي كرّس دراسته حول الونشريس في الموسوعة البربرية تحت عنوان أنكوراريوس و أنكوراريوس مونس (Ancorarius ou Anchorarius mons) يعطينا مدلولاً حسب قناعته الشديدة أنّ مصطلح أنكوراريوس هو أقدم تسمية أطلقت على هذه الجبال خاصة مع القرن الرابع الميلادي ⁴، كما أستند على ذلك من خلال حملات القائد "ثيودوز" ضد الثائر "فيرموس" وأحلافه المحليين من قبائل المازيك والتي استقرأها من تواريخ المؤرخ "أميانوس ماركلينيوس" أنّ "ثيودوزيوس" انطلق من "زوكابار" (مليانة) لمهاجمة الموريين جالوناتيس، ثم إنقضّ على المازيك قرب كاستيلوم تنجتانيوم (شلف) بعد

¹ Potolème, Géographie , IV, 2.4.

²Strabon, XVII. 6.24.

³Pline L'ancien, XIII.95.

⁴Leveau (Ph.), Ancorarius ou Anchorarius Mons, Ency.berb, 5 / Anacutas – Anti-Atlas, Aix-en-Provence, Edisud, 1988, Pp. 636-637.p.636.

عبوره جبال أنكوراريوس¹، جالوناتيس من حيث المقاربة اللغوية نراه شبيه بالمصطلح الذي أطلق على عين تكرية قديماً وهو كالموناتيس وهذا احتمالاً أن تكون هذه الأخيرة مهد قبائل المازيك، هذا من جهة، أما فليب لوفو يرى بأن موقع حالوناتيس الواردة عند أميانوس ماركيلينوس غير بعيدة عن ثنية الحد والذهاب منها إلى مدينة الشلف يستلزم عبور كتلة الونشريس، ولذلك اقتنع بأن هذه الأخيرة هي أنكوراريوس نفسها²، كما أنّ هذا المصطلح باللاتينية "أنكورا" يعني المرساة، كما نجد مدلولاً قريباً لها أنكورار بمعنى التلة³.

أما "فاطمة كادرية خضرة" في أطروحتها حول دراسة للأضرحة الجنائزية لجدار بنواحي فريدة تشير أنّها عثرت على نقيشة بإحدى جدران ضريح (F)، تحتوي على عبارة أكوراريو والذي قرنته من لفظة أنكوراريوس من الناحية اللغوية⁴.

واستناداً إلى المؤرخ أميانوس ماركيلينوس في فقرة أخرى يذكر (... لقد تقدم هذا الأخير (ثيودوزيوس) من مدينة كاستلوم تانجيتانيوم (الشلف) يريد عبور جبال أنكوراريوس جنوباً وسرعان ما تمّ له الأمر، انقضت على مازيك وفريكيوس قائد قبيلتهم في سهل كبير التي أزرت فيرموس فزهق الكثير من أرواحهم) وهنا لم يبيّن لنا "ماركيلينوس" أي منطقة جنوبية سار إليها "ثيودوزيوس" إلا أنه قارب لنا بسهل الكبي يعدّ الأقرب من خلال المعطيات الجغرافية لسهل سرسو حالياً.

وتماشياً مع الرأي الذي تقدّم به الباحث الفرنسي (Edouard cat) في نهاية القرن التاسع عشر الذي دافع فيه كون جبال الونشريس هي أنكوراريوس الكتاب القدامى بطليموس وبلين الأقدم⁵.

¹ Marcellin (A.), *Histoire*, XXIX, 5.17. T.V.Paris. 1999.

² Leveau (Ph.), *L'aile II*, Op.cit., Pp.171-176.p.175.

³فاضل (أ.)، جبال الونشريس في النصوص القديمة، مجلة أبحاث (اليومين الدراسيين حول تاريخ وتراث منطقة الونشريس، منشورات دار الثقافة لولاية تيسمسيلت، 2012، ص.49.

⁴ Kadria khadra (F.), *Les Djeddars, Monument funéraires de la Région de Frenda*, SNDE, Alger, 1983, p.246.

⁵فاضل (أ.)، جبال الونشريس، المرجع السابق، ص.50.

أما (Gsell. St) يرى بأن سير الأحداث في الحملة الرومانية على ثورة "فيرموس" غامضة جداً مما قد تحفظ وصعب الجزم بأن تكون مسرح هذه العمليات في الجبال أنكوراريوس أو الونشريس حالياً¹.

2. حدودها الجغرافية:

وإذا سلطنا الضوء على هذه المنطقة في العهد الروماني جغرافياً والتي كانت تحتوي على تعداد بشري وهذه القبائل عرفت برفضها للإستعمار الروماني²، فأقرب النقاط الجغرافية في الونشريس نجد في الشمال الغربي حصن (Mina) بغليزان والتي ذكرت في رحلة أنطون وطاولو بوتنغر وعلى 25 ميلاً نجد حصن جديوية (Gadaum C³)

(astra)، أما شمالاً نجد مدينة (Castelum Tangitanium) شلف حالياً والتي بنيت ل50م، وغير بعيد عن هذه المدينة نجد مدينة (Oppidum Noveum) وهي عين الدفلى حالياً والتي تأسست في القرن الأول الميلادي حيث تم ذكرها في العديد من المصادر الكلاسيكية، وإذا اتجهنا شرق عين الدفلى نجد مدينة قديمة وهي نقطة عبور بين مراكز المقاطعة الرومانية وهي مدينة مليانة (Zucchabar) باعتبارها أقصى نقاط الونشريس، أما من جهته الشرقية فنجد حصن عمورة (Sufasar)، الذي تم إنشاؤه في فترة الإمبراطور "هادريان" (117-137م) كما يشترك مع حصن الخربة أولاد هلال⁴ (Ala egemnia sebastena).

وإذا اتجهنا غرباً نجد الحدود المشتركة بين مدينة رومانية محصنة عين تكرية (خميسي) بتيسمسيلت مع حصن سيدي الحسني (Columnata) بمعلم ميلي أما جنوباً يوجد معسكر عين سببية (Cen)، والذي بني في مطلع القرن الثالث بجوار مدينة رومانية ثم نجد في أقصى الحدود الجنوبية الغربية مدينة رومانية تعرف ب (Cohortem)

¹ Gsell (St.), Observations Géographique Sur la Révolution de Firmus, R.S.A.C, 1902, Pp.20-52.p.36.

² Gsell (St.), Op.cit., p.32.

³ Toulotte (M.), Géographique de L'afrique chrétienne, Bibliothèque nationale de France, p.105.

⁴ صحراوي (ع.)، التحصينات العسكرية بنوميديا وموريطانيا القيصرية خلال العهد الإمبراطوري الأعلى، رسالة لنيل شهادة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة وهران، 2001-2002، ص.38.

Breconum) حيث وجد بها حصن يؤمن الطريق الرابط إلى مدينة البنيان (Ala meliaria) وبالتالي مع هذه المدن اكتملت الدائرة الجغرافية المطوقة لمنطقة الونشريس¹.

3. قبائل الونشريس:

الونشريس وما جاورها غرباً:

تتمركز بهذه المنطقة قبيلة المغازيس (Mazaices) التي تمتد أراضيها ما بين زكار والونشريس حيث أشارت فيهم المصادر الرومانية عن ملوكهم المستقلين في مناطقهم ولم تتغلغل فيها الرومنة وهي من أبرز القبائل التي شاركت في ثورة فيرموس²، من بين تلك المصادر نجد "أميان ماركولينيوس" (Ammianus Marcellinus) الذي يخصص هذه القبيلة بالمنطقة القريبة من جبال أنكوراريوس (Anchorarios) وكذلك يعتقد أنّها هي جبال الونشريس³، في حين هناك ما يراه من تلك الشعوب التي استوطنت قرب نهر شلف (Chénaleph) ⁴(Flumen)، ويحدد (Camps.G) أنّ تلك القبيلة لها فروع بنوميديا وكذلك في موريطانيا الطنجية لكن معقلها الأساسي ومنبع انتشارها جنوب جبل زكار في موريطانيا القيصرية⁵، أمّا (Leveau.Ph) يرى أنّ قبيلة المازيكس (Maziques) هم من الشعوب التي تستوطن الونشريس والأطلس البلدي وهم من جموع الشعب الأهلي الغاضب في الجبال التلية حيث منذ أن دأب الرومان في المنطقة رفضت تلك الأهالي ذلك التواجد وتحالفت مع جيرانهم من البوايين (Bavares) وحققت استقلالها بعدما فشل "تيودوز" من السيطرة عليها فضلت مستقلة عن الرومان والوندال وحتى البيزنطيين⁶.

¹ وابل (أ.)، سياسة الإمبراطور سيفريس في تطويق منطقة الونشريس، اليومين الدراسيين حول التراث والإقليم، مجلة أبحاث، منشورات دار الثقافة تيسمسيلت، العدد الرابع، 2015، ص.19.

² العقون (م.ع.)، الونشريس الهوية والمقاومة في القديم، مجلة أبحاث (اليومين الدراسيين حول إسهامات منطقة الونشريس في المقاومة الجزائرية عبر التاريخ وشواهد الأثرية)، منشورات دار الثقافة لولاية تيسمسيلت، 2012، ص.27.

³ Marcellin (A.), XXIX.27.

⁴ منصور (خ.)، قبائل موريطانيا القيصرية (القرن I و القرن II)، مجلة الدراسات المغاربية، وهران، 1998، ص.179.

⁵ Camps (G), Les Aux origines de la Berberie. Monuments et Rites Funéraires. 102Protohistoriques, Edt, Arts et Métiers graphiques, Paris, 1961,p.

⁶ Leveau (PH.), L'Aile II, Op.cit., p. 171.

وفي حوالي القرن الخامس الميلادي حدد موقع المغازيس بين أراضي قبائل الحلف الخماسي والبوارس (Bures) من جهة والموزوني (Mousouni) والأرتنيت (Arteninte) من جهة أخرى، وبين البوار (Bavares) والغرمنت جنوباً¹.

وتقيم قبيلة الموزون (Musone) بين جبل زكار وسيدي بوراس (Asernianges) ويمكن أن تكون للموزون علاقة بالموكوي (Moukouni) المتواجدة جنوب البوار، كان جبل زكار معقل لعدة قبائل وتنتشر بينه وبين الأطلس المتيجي خاصة نواحي مليانة قبائل الكونتورباني (contourbani) والكافاو (Cafaves) والأسطوماط (Austomates)².

وتقطن بالجبال على غرار مغازيس كل من الأكوييني (Akouini) والماكوراني (Makourani) والموكيني (Mukeni) وغير بعيد عنها جنوباً بنواحي "نهر واصل" قبيلة الماخوني (Makhouni) أما شمالها الونشريس فنجد قبيلة الطابنيس (Tabanise) فهي متواجدة بين شرشال (Caesaria) وعين الدفلى (Oppidum) (Novum) ويقوم الإيكامبانس (Icampaneses) ورأس جينات³ (Cissi).

تعد قبيلة الماسيسيل (Massissili) من أكثر القبائل التي تمّ ذكرها في المصادر⁴، حسب "بلينيوس الأقدم" (Pline L'ancienne) و"بطليموس" (Ptoléme) فإنّ إطارها الجغرافي يشمل القسم الشرقي لموريطانيا الطنجية، والقسم الغربي لموريطانيا القيصرية⁵، فعلماً أنّ تلك القبيلة انبثقت منها عدة قبائل خاصة بعد تفكيك حكمهم الموحد في سيغا على يد ملك نوميدي "ماسنسان" وما يشير إليه "ساليسيوس" أنّه بعد تسليم يوغرطة "ماريوس" استلم "بوكوس" كل قبائل ماسيسيليا أو قسماً منها، وبقي ملكاً على المور⁶، وسكان هذا الإقليم الذين

¹ المقدم (ب.)، سياسة الرومان إتجاه القبائل بلاد المغرب القديم خلال العهد الإمبراطوري الأعلى، رسالة ماجستير، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة وهران، 2002/2001، ص.48.

² المرجع نفسه، ص.50.

³ منصور (خ.)، القبائل، المرجع السابق، ص.180.

⁴ Polybe, III, 3, 15, XVI, 1, 2, 36. Tite-live, XXVIII, 17, 5.

⁵ Pline (L.), 17,52. Potolmée, IV, 2,5.

⁶ ساليسيوس، الحروب يوغرطة، تر. محمد مبروك الدويب، منشورات بنغازي الجامعية، ليبيا، 2008، ص.103.

لم يبقوا نوميداً ولا ماسيلاً ولا حتى ماسيسياً بل تلقوا تسمية قبائل المور ولهذا نعتبر مملكة ماسيسيل مهد لقبائل موريطانيا القيصرية خاصة في جزئها الغربي¹.

كما تستوطن المنطقة الغربية لهذه المقاطعة قبائل البقواط (Baquates) كثيرة العدد وقد خلد ذكرى هذه القبائل في التاريخ الروماني بالمغرب حوالي سبعة عشر نقشا لاتينياً، كما ذكر البقواط في معظم المصادر الأدبية وكتب الرحلات، من ذلك "بطليموس" الذي كان يسميهم البقواس (Baquas) وهي صيغة وردت أيضاً في وثيقة رحلة "أنطونيوس" إلى جانب هذه الصيغة (Baccuates) كما اختلفت المصادر الأدبية في ضبط موقعهم وتحديد علاقاتهم بالقبائل الأخرى المجاورة لهم، إذ أنه في بعض المصادر حصرت موطنهم فيما وراء ملوية، بينما جاء البعض الآخر أنهم كانوا متحدين مع قبائل البوار المنتشرة في منطقة الونشريس واليطري والبابور.² ويظهر حسب الأخبار التي تواترت حول البقواط أنهم كانوا يستوطنون المنطقة الممتدة من حاضرة ويلي (Volubilis) حتى مرتفعات الأطلس الأوسط إذ كانوا في صراع مع حكام الرومان في مقاطعة طنجة من أجل السيطرة على هذا الإقليم³، ويظهر أنهم تمكنوا من التوسع شرقاً فيما وراء نهر ملوية بعد تحالفهم مع قبيلة البوار حسب ما يشير إليه ذلك نقش في تنس (Cartennae) والذي عثر عليه في 30 جوان 1843 من قبل جنود الاستعمار الفرنسي من بينهم طبيب (بونتيير، Pontier) ويرى "كاركوبينو" أنها تعود إلى ما قبل نهاية منتصف القرن الثاني الميلادي، ولربما إلى بداية عهد الإمبراطور "هادريانوس" ما بين (177-122م)، حيث يشير مضمونها إلى "كايسوس فولسينيوس" ابن "ماركوس" من قبيلة كويرينا والذي أحبه المواطنون في كارتينا ونال عدة ألقاب شرفية كونه صان المستعمرة من هجوم البقواط⁴.

وقد اختلف المؤرخون في علاقة البقواط بقبائل برغواطة التي اشتهرت في المغرب الإسلامي على لسان المؤرخين الغرب، والتي كانت تتواجد في الريف المغربي، فقال (Carcopinio) بأن البرغواطيين هم أحفاد البقواط،

¹ كامبس (غ.)، في الأصول بلاد البربر. ماسينسا أو بدايات التاريخ. تر. محمد العربي العقون، مجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2010، ص. 196.

² شنيقي (م. ب.)، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الإحتلال الروماني، ط1، الجزائر، 1984، ص. 160.

³ Camps (G.), Les Bavares Peuple De Maurtanie Ceasarienne, R.Af, 1955, XCIX, Pp.242- 249.p.242.

⁴ CIL VIII, 9663.

وأنه لا يوجد فرق بين الأسلاف والأحفاد سوى في التسمية التي حَرَفَهَا النطق العربي، بينما هناك من عرض هذا لاختلاف الل-+فظتين (Baquates) و(Barghawata)¹

أما أشهر قبائل الجبهة الغربية هم البوار أو الدوار، حسب بعض المصادر، تعرف هذه الأخيرة بقوتها وكثرة عددها وتحركاتها المستمرة والتي أقلقت الاستعمار الروماني في هذه المقاطعة، وكثيرا ما اتحدت وانضوت تحت زعامة أمراء أو ملوك تعاونوا على ضرب تحصينات الليمس للجيش الروماني، وهو ما أكدته نقوش لامبيز (Lambaesis) التي نصت على وجود أربع حملات غربية على هذه المدينة تعود لقبائل البوار²

تم ذكر هذه القبيلة في حوالي خمسة عشر نقيشة لاتينية عشر عليها في العديد من مواقع موريطانيا القيصرية ونوميديا³، ولكن حسب المعلومات التاريخية المتعلقة بالبوار (Bavares) من رسم خريطة كبيرة لموطن هذا الشعب الكبير (Gentis Mulutus)، الذي ظهر على مسرح الأحداث خلال القرن الرابع الميلادي ينقسمون إلى قسمين البوار الغربيين (تمتد من ناحية الونشريس إلى تلمسان غرباً) وهم الأجداد الزناتيين والباوار الشرقيين في منطقة البابور إلى مشارف كويكل (جميلة) وهم الجبليون المستقرون وليس من البدو الرحل⁴، وحسب وصفه من بعض المؤرخين فإن قبيلة البوار لها فرع وحيد وهو معروف والذي يمتد من التل الوهراني غرباً إلى جبال البابور فهم قوم جبليون مزارعون مربو المواشي⁵، بينما يراهم (Camps.G) أنهم كانوا منتقلين عبر السهوب من نحر ملوية إلى جنوب سطيف ويستوطن أغلبهم بجبال الونشريس وحوض الشلف⁶.

الونشريس وما جاورها شرقاً:

تقطن في المنطقة الشرقية لمقاطعة موريطانيا القيصرية عدة قبائل من أشهرها قبائل الحلف الخماسي (Quinque gentiane)، وهي تعيش في المناطق الجبلية وتترجع على كافة أنحاء منطقة القبائل الكبرى⁷، هذه

¹ شنيبي (م.ب.)، التغيرات، المرجع السابق، ص.161.

²Camps (G.), Les Bavares, Op.cit., p.242.

³ شنيبي (م.ب.)، التغيرات، المرجع نفسه، ص.161.

⁴ العقون (م.ع.)، الإقتصاد والمجتمع...، ص.160.

⁵ شنيبي (م.ب.)، التغيرات، المرجع السابق، ص.161.

⁶Camps (G.), Les Bavares, Op.cit., p .243.

⁷مقدم (ب.)، المرجع السابق، ص.48.

الأخيرة لقيت عدة اهتمامات من طرف مؤرخي الاستعمار حيث قاموا بدراسات حول تشكيلة هذا الحلف فهو يتكون حسب "كانيا" (Cagnat) من الماسينيسانس (Masinissenses)،التنديس (Tundense)، والتوباليني (Tubaleni)، بينما قدّم "كورتوا" (Courtois) دراسات حول هذا التحالف ذكر منهم ثلاثة فقط وهي الماسينيسانس (Masinissense)، التينديسيس (Tyndenses)، والتتاباس (Natabes).

كما يضيف إليها قبيلتين هما التولنزي (Toulensi) و البانيوري¹ (Baniori)، ويرى (Gsell.ST.) أنّ قبيلة التوباليني (Tubalini) معقلها يمتد من سور الغزلان (Auzia) وهي من أبرز القبائل الداعمة للثائر "إيديمون" سنة 42م، أمّا في ناحية سفوح الحضنة والأطلس الصحراوي نجد أراضي تملكها قبائل الكابرايانس (Caprarianeses)²، وبينما تقع قبائل الموكوني (Moukouni) جنوب الباور ولهم علاقة بالموزوني (Mousoni) الذين يسكنون بين سطيف (Sitifis) وجبال الحضنة، ويشير "توسكي" أنّهم جاؤوا من جنوب الأوراس وبعد نزوح قبائل الحلف الخماسي (Quinque gentanei) اتجهت قبائل الموزوني غرباً واستقرت بهضاب سرسو (تيارت)³.

وكانت كل من التينديسيس (Tyndenses) والماسينيسانس (Masinissenses) جارتين تقيم بالقرب من تيكالات (Tubusuctu)، وغير بعيد عنها في أعالي شرق بجاية (Saldae) تتمركز قبيلة البانيوري (Baniori) وأيضاً الفرنتيس (frentisis) وهي مجاورة لقبيلة البارزوفولينالي (Barzofoulinali) جنوباً وروسوكانسس (Rusucenses) شرقاً وهؤلاء الذين ارتبط اسمهم بمدينة دلس (Rusucenses)⁴، ومن جيران قبائل الحلف الخماسي (Quinque gentanei) قبيلة الفراكسينانس (Fracsinenses) التي اجتاحت نوميديا ويتواجد موقعها بجبال جرجرة، أمّا قبيلة الجيتالوسي (Getalousi) فهي تعيش ما بين وادي الصومام وجنوب سيدي زيان⁵ (Mishibium).

¹منصوري (خ.)، القبائل، المرجع السابق، ص.182.

² Gsell (ST.), Atlas archéologique de L'algerie, 2 Vol.Cartes, paris, 1912. F8, N°102.

³Touxier (H), Etudes Sur Les Migrations, R.Afr, 8, 1864, Pp.70-82.p.79.

⁴منصوري (خ.)، القبائل، المرجع السابق، ص.185.

⁵المقدم (ب.)، المرجع السابق، ص 49.

ويقطن على مشارف البحر المتوسط وبالقرب من الوادي الكبير (Amsaga Flumen) قبيلة الماكوراس (Makourases) وهي جنوب البانيوري (Baniori) وغرب السلاسي (Salasi)، أما شمال شرق مستوطنة ستيفيس (Sitifis) فنجد قبيلة التودوكاي (Toudoukai)، في حين نجد فرع من قبيلة نوميديا (Numidia) تتواجد غرب برج مجانة قرب مدينة برج بوعريج حالياً¹

ثورات القبائل الونشيرية ضد الوجود الروماني.

أولاً: ثورة إيديمون (42 م):

لا نجد في المصادر تفاصيل الحرب بين إيديمون والرومان في الونشريس، وقد حاول بعض الأثريين الاستناد بالبحث الأثري الذي يمكن أن يسدّ بعض الثغرات أو يقدم بعض المؤشرات حول شمولية الثورة من موريطانيا الطنجية إلى القيصرية ومنه أمكن تحديد بعض الأماكن التي كانت ميداناً للمقاومة التي قادها إيديمون ومعه الكثير من المتطوعين من أبناء الشعب².

وفي هذا السياق يمكن الرجوع إلى النص الأثري الذي عثر عليه بموقع فوليبوليس (وليلي، قصر فرعون) وهو نص إهدائي من فاييا بيرة (Fabia Bira) إلى زوجها المتوفي فاليريوس سيوبريوس ابن بوسطار* من قبيلة غاليريا تولى مناصب إدارية (شفطي، عضو بلدي، كاهن أبدي) وتحتيت له قيادة الفرق المساعدة للجيش المشاركة

¹ منصورى (خ.)، القبائل، المرجع السابق، ص. 186.

² العقون (م.ع)، الونشريس، المرجع السابق، ص. 26.

* يستقرأ لنا العقون أن الأعلام الواردة في النص تدعو إلى التوقف عندها، فهل كانت الزّومنة في تلك الفترة خاصة عهد يوبا الثاني وبطليموس قد بلغت درجة تأثير في الأحوال الشخصية إلى الدرجة التأثير جعلت بوسطار هذا يسمي ابنه بإسم روماني وهو فاليريوس، وحتى زوجة هذا الأخير نراها تحمل إسم روماني شائعاً وهو فاييا، إذاً هذه الرومنة المبكرة هي إحدى أدوات الرومان لخلق المواليين يجدونهم عند الحاجة إليهم، ومنه فاليريوس بن بوسطار هذا كان من المنضمين الأوائل للغزو الروماني بموريطانيا

يشء بش(سصص الغربية، وكانت مدينته فوليبوليس (وليلي) التي إرتقت إلى مصاف المونيكبيوم، كما أشار إلى أنه لولا مساعدة هذا القائد (Praefectus) الموريطاني الأصل لما تمكن الرومان من تحقيق النصر على إيديمون للمزيد يُنظر (محمد العربي العقون، الونشريس، المرجع نفسه، ص. 26).

في الحملة ضد إيدمون في تلال القيصرية برتبة بريفكتيس¹، وهذا ما يستند عليه غاسكو (Gascou) أن أقرب تلال القيصرية هي إمّا جبال الونشريس امتدادا لزكارا وتيطري إلى غاية الظهره غرباً².

يمكن استخلاص بعض الأفكار من النصوص الأثرية وهي أن الرومان قد نجحوا في إنزال جيوشهم والتوغل إلى داخل موريطانيا الغربية، وبسهل شلف موريطانيا الشرقية ومن تلك القوات العسكرية التي عثر عليها من خلال النصوص الأثرية تسجل اشتراك الفيالق المرابطة بإسبانيا منها النصب الجنائزي الذي عثر عليه في موقع ألبولاي (عين تموشنت) لجندي من الفيالق المقدوني الرابع³، وشاهد آخر عثر عليه في موقع فوليبوليس لجندي من فيلق جيمنا العاشر⁴، ومع وصول خبر الاستعداد لمقاومة إيدمون في موريطانيا تم إرسال تلك الفيالق من إسبانيا لغرض الاحتلال والقضاء على المقاومة ولعل استبعاد مشاركة ليغاتوس للفيالق الأوغسطي الثالث المتمركز في نوميديا وهو الأقرب ومجاورته للمقاطعة الموريطانية سببه الخوف من أن ذلك قد يؤدي إلى اتساع الاضطرابات إلى نوميديا مما سيحرم روما من القمح الإفريقي⁵.



صورة 20: نقشية فاليريوس سيفريوس.
Gascou (J.), Op.cit., p.165.

وقدّر بعض المؤرخين عدد الجيش الروماني الذي شارك في العمليات العسكرية بعشرين ألف جندي⁶، وبعد أن امتنعت القبائل البربرية منها نوميديا عن تقديم القمح والمؤونة للجيش

¹ جاء في النص الأثري: (M.Val.Bostaris.Fil.Gal.Trib.Sevres.Sufeti.Aidile viro..Prefectus Auxlia Aduersus Aedemonem Bello Maureta). (I.A.M. 2448). للمزيد ينظر إلى:

² Gascou (J.), Aedemoun, Ency.berb,2/Ad- Aguh-n-Tahli, Aix-en-provence,Edisud,1985,Pp.164-165.p.164.

³ CIL.VIII.21.669.

⁴Carcopinio (J.), Sur La morts de potolémée roi de Maurétanie, M.F.L.H.A., Offert a Ernout,paris 1940,Pp.36-49.p.47.

⁵ Cagnat (R.), L'armée, Op.cit., p.26.

⁶ فوكة (م.) ، تأثير قبائل منطقتي شلف والونشريس في السياسة العسكرية الرومانية (في الفترة الأولى قبل الميلاد إلى القرن الثالث)، اليوميين الدراسيين حول تاريخ وتراث منطقة الونشريس، مجلة أبحاث ، منشورات دار الثقافة تيسمسيلت، العدد الثاني، 2013.ص.44.=شرايف (س.)، المرجع السابق،ص.166.

الروماني اضطر الإمبراطور كلاوديوس أن يكلف الأسطول المتواجد ببريطانيا للقيام بمهمة تموين الفيالق والفرق المساعدة المرابطة بموريطانيا¹.

تركزت العمليات العسكرية في سهل شلف والونشريس، وتمكّن إيديمون من تحرير مدن السهل السفلي كل من بوقادير (Vogal) و جديوية (Gadum Castra) و غليزان (Mina) وبلل (Ballenne) (Praesidium) بمساعدة القبائل الموريتانية²، وتوسّعت هذه الثورة غرباً حتى وادي تافنة ومنطقة ويلي (Volubilis) بموريطانيا طنجية³، وهذا ما تثبتته المؤشرات الأثرية أنّ مدينتي ليكسوس وتامودة قد تعرّضتا للحرق والدمار النهائي من طرف نائير إيديمون⁴.

استمرت تلك الثورة لأكثر من عامين وتمكّن الرومان من القضاء عليها بعد أن تخلت عنه قبائل في موريطانيا الطنجية وخاصة ويلي التي أعلنت مدينتهم مدينة رومانية سنة 44م⁵، أمّا زعيم المقاومة إيديمون فيكون قد قتل مع مساعديه المقربين منه ولكن في ظروف لا نجد عنها شيئاً في المصادر التاريخية التي فضلت الحديث عن احتفالات النصر التي أقيمت في روما أين ظهر قائد الحملة الرومانية على موريطانيا كراسوس فروغي (Crassus Frugi) وهو يعتلي صهوة جواده ويرتدي الحلة التي خلعت عليه من قبل الإمبراطور كلاوديوس⁶، أمّا إيديمون فقد سجّل اسمه في سجل الخالدين وقدم لنا مثال لمن سيأتي بعده ليحمل راية المقاومة من جديد.

هذه المناطق الجبلية من الريف غرباً إلى الونشريس شرقاً ظلّ الشعب الأهلي يعيش في إطار أعراف ونظم بل إنّ المصادر الرومانية تتحدث عن ملوك أهليين كالمغازيس بالونشريس وهذا يعني أنّ لهم قدراً كبيراً من الاستقلال

¹ شنيبي (م.ب)، أضواء على تاريخ الجزائر القديم، دار الحكمة، الجزائر، 2003، ص.100

² Rufer (J.), Etude sur établissements Romaines du Bas Cheliff .B.S.G.A.O. n°.27. 1907, Pp.311-366.p.359.

³ شرايف (س.)، المرجع السابق، ص.166.

⁴ Carcopino (J.), sur, Op.cit., p.37.

⁵ فوكة (م.)، تأثير، المرجع السابق، ص.45.

⁶ Gascou (J.) M. Licinius Crassus Frugi, Légat de Claude en Maurétanie, Mélanges Boyancé, Rome Collection de l'école française de Rome, 1974, Pp.473-480.p.479.

في مناطق لم تتغلغل فيها الرومنة، ومن هناك كان الشعب الأهلي من القبائل الونشيرية تتحين الفرص لاسترداد سيادته على وطنه¹

ثانياً. ثورة الأهالي الغاضب البوار والبقواط (Bavares.Baquates) حوالي القرن الثاني الميلادي:

تعرفنا سابقاً على أهم القبائل والسكان الأصليين في مقاطعة موريطانيا القيصرية، علجنا إحدى القبائل المورية الأكثر شراسة كما وصفتهم المصادر اللاتينية ألا وهم القبائل البوار (Bavares)، والبقواط (Baquate) من أبرز القبائل التي تحصنت بمعقل الونشريس ضد الاستبداد الروماني.

1. ثورة قبائل البوار: (Les Bavares)

نعتت النقوش اللاتينية البوار بالتمردين لا الغزاة مما يشير إلى أنّ موطنهم كان واقعا داخل الإقليم الجغرافي الذي كان يسيطر عليه الرومان².

لقد اعتمد المؤرخون في افتراضاتهم حول موطن البوار على مضامين النصوص والنقوش اللاتينية، وهي موزعة جغرافياً من غرب مدينة فاس بالمغرب الأقصى إلى مشارف سطيف بالجزائر³، بينما يرى (Cagnat) أنّ موطن البوار هو منطقة جبال الباور بسطيف⁴، لكن قزبل عارض هذا الافتراض واقترح أن تكون المقاطعة السطيفية بكاملها أنسب لموطن البوار⁵، في حين يذهب (Camps.G) إلى القول بأنّ البوار مجموعتان: بوار الغرب كان موطنهم فيما بين نهر ملوية إلى غاية مرتفعات الونشريس والظهرة ويؤكد في هذا السياق على وجود كنفيديراليتين تجمع عدة أجناس مختلفة لكن تشترك في اسم البوار في تلك المنطقة، أمّا البوار الشرق من الونشريس إلى غاية مشارف نوميديا، حيث عثر على ذكراهم في النقوش اللاتينية⁶.

¹العقون (م.ع)، الونشريس، المرجع السابق، ص.27.

²شنيبي (م.ب)، التغيرات، المرجع السابق، ص.346.

³نفسه، ص.343-344.

⁴Cagnat (R.), L'armée, Op.cit., p.63.

⁵شنيبي (م.ب)، التغيرات المرجع نفسه، ص.344.

⁶CAMPS (G.), les bavars, op.cit., p.266.

ذكر اسم البوار في مواضع مختلفة كالمصادر الأثرية، حيث ورد ذكرهم في حوالي خمسة عشر نقيشة لاتينية، لكن يبقى القاسم المشترك هو الحروب الواقعة في أماكن مختلفة وفي فترات زمنية مختلفة¹، كما أنّ (Camps) أورد لنا دور البوار* في معاركهم التي دارت ضد الجيش الروماني في عدة مناطق من القيصرية وهي كلها محاطة بالونشريس².
I. كتابة زوكابار zuccabar (مليانة) أقصى شمال الونشريس بمقاطعة موريطانيا القيصرية:

Diis Patriis et Mauris Conservatoribus Aelius Aelianus v(ir)
p(erfectissimus)
praeses provinciae Mauretaniae Caes(ariensis) ob prostratam gentem
Bavarum Mesegneites iumpraedasque omnes ac familias eorum
abductas votum solvit³

(... وضعت هذه النقيشة على شرف الآلهة الوطن والآلهة المورية الحامية لشرف الفوز لحاكم مقاطعة آيلوس أليانوس (Aelius Aelianus) على أحد فروع البوار وهم الماسقنانتس Masgneites فقصى عليهم وأخذ منهم الغنائم والأسرى، وأوفى بنذره عن طيب خاطر...).

نفهم من خلال هذا النص على وقوع معركة ميدان كبيرة هزم فيها البوار وتعرضوا لخسائر من طرف الحاكم أيلوس أليانوس حيث بيّنت الأبحاث من خلال الكتابات اللاتينية تبرز وجود هذا الوالي خلال فترة حكم ديوقليسيانوس (284-289م)⁴.

وتؤكد لنا هذه النقيشة كذلك أنّ قبيلة البوار كان لديها العديد من الفروع من الماسقنانتس التي منيت بالهزيمة وأسر أفرادها.

¹ CAMPS (G.), les bavars, Op.cit, p.242.

² لقد وقع جدال بين العديد من المؤرخين حول القبائل البوار هل هم بدو أم جبليون، حيث يرى كامبس أنهم جبليون وهم أشدّ خطراً على روما، أما كاركوينييو فقد تبنى فكرة البداوة ولاندري على أي أساس وضع هذا تصنيف.

³ Ibid. p.268.

⁴ CIL, VIII, 21486.

⁴ دريسي (س.)، قراءة وتحليل للكتابة الأثرية المكتشفة بالبيض، مجلة الآثار، العدد 11، معهد الآثار، جامعة الجزائر 02، 2014، ص.28.

.II .كتابة البيّض:

C VOTUM ET DIS FAUTORIB IOVI OPTIM MAX
OCTAVIUS PUDENS
BAVARIB CAESIS CAPTISQUE¹ AUG PROC SEVERI

(للإله جوبيتر الطيب والأعظم وإلى الآلهة المناصرة، هذه أمنية كايوس أوكتافيوس بودانس، على شرف قتاله وقبض على البوار).

يتّضح من خلال هذا النص أنّ هذه الكتابة جاءت كتخليد لنصر الوالي الروماني أوكتافيوس بودانس (C. Octavius Pudens) على قبيلة البوار وهو وكيل للإمبراطور سبتيميوس سيفيروس على موريطانيا القيصرية.

عرف هذا الوالي بأعماله المتخصصة في بناء المباني العمومية ذات الصلة بالجانب العسكري وترميم الطرقات، ولم تذكر أي كتابة مواجهته للقبائل الإفريقية، ربما كانت مواجهته الحربية ضد البوار عندما أراد أن يشق الطريق من سفوح الونشريس إلى غاية أواسط الهضاب العليا، ودخل في أراضيهم الشاسعة وهذا شيء الذي أثار غضبهم².

لا يهم هنا نوع الإله الذي كرس له، بالإضافة إلى جوبيتر أعظم آلهة رومانية (سابق التعريف)، هنالك الآلهة المنتصرة (Dis Fautoribus) التي جاءت في النقوش على أنّها هي الآلهة المشرقية ميثرا* وجاء النص على النحو التالي: « Mithra Fautori Imperiisui » التي عادت في فترة حكم العائلة الفلافية، ولم يجهل من جهتهم

¹ CIL.VIII.2615.20827.

²Christol (M), L'oeuvre de C. Octavius Pudens Caesius Honoratus en Maurétanie Césarienne, Africa Romana, t.10, 1992, Pp.1141-1152.p.1149.

أصبحت عبادة ميثرا رسمية سنة 307م من طرف الإمبراطور ديوقليسيانوس (Déioclicienne) وغالير (Galère) وليكينوس Licinius وأقيم لها معبداً في مدينة كارنونتوم Carnuntum بمقاطعة بانونيا ووصف حينها بالآلهة الحامية للإمبراطورية Dis Fautoribus كما جاء في نقش مذكور في المتن للمزيد يُنظر: -Belles (Turcan (R), Mithra et mithracisme, ed. Belles lettres, Paris., 1993)

الأباطرة السيفيرين الطقوس والشعائر الدينية لهذا الإله¹، حيث وجدت العديد من الكتابات تشير إلى عبادة ميثرا لدى الفرق العسكرية الرومانية.**

.III النقيشة القيصرية (شرشال):

Iovi Optimo Maximo ceterisque disimmortalibus
gratum referensquod erasis funditus
Babaris transtagnensibus secunda praeda
facta salvus et incolumiscum omnib(us) militibus
dd(ominorum)nn(ostorum) Diocletiani et
Maximiani Augg(ustorum)regressus
Aurel(ius) Litua v(ir) p(erfectissimus) p(raeses) p(rovinciae) M(auretaniae)
C(aesaensis)votum libens posvui².

(جوبيتر طيب الأعظم وإلى الآلهة الخالدة، تم الانتصار على شعوب الباباريس من ترانستاغنسيوس قادمين من وراء الشطوط، وإقامة هدنة ومن إرادة أسيدنا ديوقليسيان و ماكسيماني الأغسطس، ومن ثم حاكم مقاطعة موريطانيا القيصرية أوريليوس ليتوافير، كرسست عن طيب خاطر واستحقاق).

تؤرخ هذه الكتابة ب(290-292) وهي تشير إلى فرع آخر من قبائل البوار، وقد ذكر النص كلمة "باباريس" ورجح الباحثون أنّها تدل على قبائل البورا وفرعها ترانس تاغنسيوس (Transtagnensibus) يعني أنّها قبيلة قدمت من وراء الشطوط القريبة من القيصرية وهذا يعني واد شلف الأقرب لها وتاغنسيوس من أقوام جبلية

¹ دريسي (س.)، المرجع السابق، ص.23.

** عثر على نقيشة بموقع كيلومناطة (عين تكرية، تيسمسيلت) جنوب الونشريس بموريطانيا القيصرية، والتي أشارت حول عبادة آلهة ميثرا الفارسية من طرف إهداء قدمه الجنود الكتيبة الساردنية على شرف الإمبراطور غوردانوس : (Deo Soli Invicto Mithrae) أي وصفها بألهة شمس ميثرا غير مقهورة أو التي لاتغلب، وكانت تعبد في مغارات مظلمة، يُنظر: (CIL , VIII, 21523)

²CIL, VIII, 9324

ولهذا يرجحها المؤرخ بإحدى فروع البوار التي كانت تتحصن بالونشريس وقامت بمداهمة القيصرية مما مكن الوكيل العام بالقيصرية هو أوريليوس ليتوافير (AureliusLituavir) من تحقيق الانتصار عليهم وتوقيع معاهدة سلام مع إحدى فروع قبائل البوار، وذلك مع نهاية حكم الإمبراطور ديوقليسيانوس والإمبراطور ماكسيموس (290-292م)¹.

IV. نقيشة جنائزية لدوار أربال بموريطانيا القيصرية:

بقيت المصادر مكتوبة صامته طيلة أكثر من نصف قرن من الزمن حتى تم العثور على كتابتين جنائزيتين بدوار أربال². ودلت شواهد هذه القبور على مقتل مواطنين على يد البوار الغرب، ويؤرخ الأول بسنة 366م وهي مكرسة لماركوس لوليوس صابينوس (Marcus Lolius Sabinus) وقتل ضحية البوار عن عمر يناهز 31 عام.

D(is) M(anibus) S(acrum)M(arco) Lollo Sabino marito Amantissim
O qui a vi(ctima) BavRu passusEst vixit an(nos)Xxxi Aurelia Maiorica ti
Tulu(m) fecit an(no) p(rovincia) cc[xx] vii Ma(nlio?) f[]so vix(it) an(nos)
xx[]i³.

تنص الكتابة الثانية على نفس الأحداث إذ قتل بوبليوس أيلوس فليكي (PublioAelioFelici) في الثلاثين من عمره، وتؤرخ الكتابة سنة 243م.

D(is) M(anibus) S(acrum)P(ublio) (A)elio Felici
Amantissimo [qui] vi(ctima) Bavarum Perfect[us] [es]t vixit an[nis]Xxx
ma[ter]Aram [atq(ue)] tItulu(m) fece[runt]Pro(vincia)cc⁴[

¹Tauxier (H), Op.Cit, p.29.

²دريسي (س.) ، قراءة وتحليل، المرجع السابق، ص.29.

³CIL, VIII, 21644

⁴CIL, VIII, 21630.

نستخلص ممّا سبق أنّ قبيلة البوار بحدودها الغربية حسب ما فصل فيها كامبس أنّها لا تتعدى زكار ومنطقة جبال الونشريس، وتمّ ورود اسمها مع نهاية القرن الثاني الميلادي إلى أواخر القرن الخامس الميلادي¹، وجل المصادر تذكر الصراع القائم بينها وبين السلطة الرومانية، فكتابة البيض تعطينا صورة جديدة حول حركة هذه القبيلة وتراجع النزاعات إلى الجنوب²، وذلك بفضل السياسة العسكرية الرومانية وإقامة مختلف التحصينات ممّا قلّص نفوذ القبيلة إلى غاية الشمال وغرب المقاطعة كما بيّنته نقيشة وليلي بالمغرب الأقصى حول معاهدة سلام أقامها زعماء البوار والبقواط ضد السلطات الرومانية³.

ومن خلال النقوش ندرك مدى مضايقاتهم في عقر دارهم من طرف العناصر الرومانية، ممّا أجبرهم على شدّ الرحال نحو مناطق شمالية غربية وهذا دليله نقيشة أربال حول ضحايا الرومان الذين وقعوا في كمين قبائل البوار الثائرة⁴.

وهناك العديد من المؤرخين والجغرافيين للفترة القديمة لم يشيروا إلى هذه القبيلة ولعل السبب الوحيد الذي يفسّره هو أنّ قبيلة البوار الغربية لم يسلم بها بعد أنّها كانت في مرتفعات موريطانيا القيصرية، ولم تكن قبل القرن الثالث الميلادي في المحيط الذي ذكره المؤرخ كامبس، بل موطنها الأول حسب نقيشة البيض، كانت في منطقة الهضاب العليا ومكان عثور الكتابة يجبرنا على إعادة النظر إلى الخطوط الدفاعية الليمس، فمنطقة بيض بعيدة عن خط الدفاعي الذي أقامه الإمبراطور سبتيموس سيفيروس والتي كانت بعيدة عن تيارت، سطو الثقافة اللاتينية وبعد تكوين قواهم وإمارتهم قائمة على رحال ستوطنوا الأطلس التلي⁵، وتفرعوا إلى مجموعات صغيرة كالبور الماسقنتانتس (Mesegneites) والبور ترانس تاينسيوس (Transtagnenesibus) كأبرز النقاط القريبة من إقليم الونشريس.

2. ثورة قبائل البقواط على مدينة تنس (Cartennae)

¹CAMPS (G.), Les bavars, Op.Cit, p.266.

²دريسي (س.)، قراءة وتحليل، المرجع السابق، ص.30.

³ AE 1987, 2006.

⁴CIL, VIII, 21644 =21630.

⁵دريسي (س.)، قراءة وتحليل، المرجع السابق، ص.32.

لقد وقع الاختلاف حول المناطق الأولى الأصلية لقبائل البقواط فالعديد من المؤرخين أكدوا من خلال معطياتهم الأثرية أنّ مرتفعات موريطانيا هي مهدها الأصلي وخاصة كاركينيو أنّ معقلهم كان بمناطق الجبال المحاذية لمدينة تنس¹، وهذا ما يدعي تفسير أن هذه الأخيرة كانت مرابطة بالونشريس، فبعد هجومات هذه الأخيرة على مدينة تنس وفشلهم فيها تعرّضوا لاضطهادات أجبروا عليها من طرف الإمبراطور هادريانوس وهو التوجّه غرباً لاستعمالهم في موريطانيا الطنجية كحاجز بين الموريطانيتين².

تعتبر النقيشة التي كتبت على قاعدة تمثال في موقع (Cartennae) بشلف أقصى شمال الونشريس كشاهد وحيد على ردة فعل الثورا المحصنين بالقرب من مدينة كارطينا في موريطانيا القيصرية وهي كالآتي:

C.Fulcinio.M.f.Quir.Optato,flam(ini)Aug(ustali),Ilvir(o),q(uin)q(uennal i),pontif(ici),Ilvir(o),augur(i),aed(ili) qu[ae]stori,qui inrup[ti]one Baquatium co[l]onian tuitus est [tes]timonio decreti ordinis et populi Bvri, C[a]rtennitani et incolae primo ipsi, nec ante ulli, aere conlato³.

(كرست هذه النقيشة ل(كايوس.م.فولسينيوس) أوبتاتوس ابن ماركوس من قبيلة كويرينا، فلامين (الكاهن) أغسطس العضو في مجلس الإثنتين خلال الخمس السنوات، راهباً وعضواً في مجلس الإثنتين، وعرافاً، وقاضياً بلدياً، وخزاناً، الذي صان المستعمرة من هجوم البقواط، ويشهد على ذلك قرار مجلس (العشرة) والشعب سواء منهم مواطني كارطينا (Cartennae) أو سكانها (العاديين) وهو الأول (في المدينة الذي أقيم له) هذا التمثال وليس لأحد قبله عن طريق التبرع).

تتحدث هذه النقيشة عن هجوم تعرضت له مدينة كارطينا على يد قبيلة البقواط مجاورة لها، وتاريخ هذه النقيشة خلق جدلاً بين كانيا (Cagnat) وتوفنو (Thouvenot) وكاركوبينو (Carcapino)، فكانيا يرى أنّها تعود لعهد الإمبراطور سبتيموس سيفيروس⁴، وتوفنو يردّها إلى عهد الإمبراطورين أوريليوس وكمودوس، بينما

¹ Carcopino (J.), Le Maroc, Op.cit., p.264.

² Ibid, p.265.

³ CIL VIII, 9663.

⁴Cagnat (R.), Larmée, Op.cit., p.63.

يبدو أنّ الحجّتين اللتين قدمهما كاركوينييو أقرب للصواب، وتتعلق بما جاء في النقيشة بارتقاء المدينة إلى مستعمرة، وبالاعتماد على الباليوغرافيا التي تتركز على مقارنة بعض الكتابات التي تعود لعهد الإمبراطور هادريانوس (117-138م)، لذلك نرجّح رأي كاركوينييو ونعيد تأريخ رفع هذه النقيشة إلى ما قبل نهاية منتصف القرن الثاني الميلادي، ولربما إلى عهد الإمبراطور هادريانوس¹.

يذكر مصطفى الأعشى هناك تساؤل حول كيف يمكن الربط بين موطن البقواط التي كانت على ما يبدو خلال القرن الثاني الميلادي في الأطلس المتوسط، وهجومهم على كارطينا قرب نهر شلف بموريطانيا القيصرية؟ لكي تتضح الرؤيا يبدو أنّه من الأفضل العودة إلى ترجمة حياة هادريانوس حيث يذكر صاحب تاريخ أغسطس (...). وقعت سنة 122م أحداث في شمال إفريقيا مما عزم الإمبراطور هادريانوس الذي كان موجوداً بإسبانيا للرحيل إلى شمال إفريقيا ليقود بنفسه عمليات القضاء على الثوار المور)، وهذا حسب مدلته نقود روما و المكتوب عليها حملة أغسطس على موريطانيا، مما افترض (Carcopinio) ربط تلك الثورة بهجومات على كرطينا سنة (177-122م) بما أُلحّ القول أنّ موطن البقواط كان قريباً من تنس، فبعد فشل هجومهم فرض عليهم من طرف الإمبراطور هادريانوس شد الرحال إلى موريطانيا القيصرية لاستعمالهم فيها².

يبدو أنّ رأي (Carcopino) غير وارد لأنّه كيف يمكن أن يقبل البقواط بقيام أعمال ضد قبائل أخرى، وكيف يمكن أن نستوعب أنّ قبيلة نائرة تصبح بسرعة، وبعد فشل انتفاضتها مسالمة بل وتنفذ أوامر الرّومان ولهذا يبدو هذا الافتراض غير منطقي.

مّا دفع فرويزول إلى الاعتقاد بأنّ مواطنيهم كانت في بداية القرن الثاني محصورة بين نهر شلف بالجزائر والأطلس المتوسط بالمغرب. ونقوشهم عديدة في موريطانيا الطنجية تفسّر لنا أيضاً المحاولات التي ستقوم بها روما- فيما بعد لاستمالة زعمائهم ومحاولة احتوائهم³.

¹الأعشى (م)، الباكوات، المرجع السابق، ص.17.

²الأعشى (م)، الباكوات، المرجع السابق، ص.18.

berb, 9 / Baal – BenYasla [En ligne], mis en ligne le 3^eDesanges (J.), Baquates , in Ency 01 décembre 2012, consulté le 25 mars 2017. URL :

<http://encyclopedieberbere.revues.org/1285>.

ومن النتائج المباشرة للهجوم على مدينة تنس (Cartennae) قيام السلطات الرومانية في موريطانيا القيصرية بتغطية الولاية بنظام دفاعي يمهد لإقامة الليمس، شمل القلاع والطرق الرابطة بينها، كما أنشأ هادريانوس معسكر جميلة آنذاك في مقاطعة نوميديا الذي تتجلى فيه سياسته الدفاعية¹.

ثالثاً: ثورة سيسكا (253-255م):

من خلال قراءة على إحدى الكتابات اللاتينية في مدينة شلف من أبرز النقاط العسكرية في شمال الونشريس، والتي أشارت إلى ثورة سيسغا خلال حكم الإمبراطور فاليريانوس²، وهذا نص الكتابة:

Imp.CAESP.LICINIO VALERIANOPIO FEL, AVG P.TR.PII
COS.VAREB NOSTRA SISGA DEVESTA C.P.L GALLIENUS
AVG.P.M.TR .P X COS M.COLONIAE IUS DED IDEMO.DED.

(...الإمبراطور، قيصر، بوبليوس، ليكينوس، فاليريانوس، التقى، السعيد الأغسطي، بروقنصل، ذي سلطة تريبونيه للمرة الثانية، وهو الذي انتصر على سيسغا، مخرب في كاستيلوم (شلف)، الإمبراطور لوكيوس غالينوس أغسطس الأب الوطن، وذي سلطة تريبونيه للمرة العاشرة، وهو القنصل الذي قام بترقية هذه المستعمرة، لقد تم تكريس).
في سنة 253 م اندلعت مقاومة عنيفة في كل إفريقيا، التي أخبرنا عنها القديس كبريانوس من خلال الرسالة التي بعثها، لجميع الكنائس آنذاك لجمع أموال الفدية لإطلاق صراح الرهينات المسيحيات لدى الثوار، كما سخرت روما إمكانيات عسكرية كبيرة للقضاء على هذه الثورة، وقد كلفت حاكم موريطانيا القيصرية بملاحقة الثوار وعززته بالفرق العسكرية الأجنبية، كما تم استدعاء الفرقة العسكرية (PrimigeniaXXII) المرابطة في مدينة تنس (Cartennae) بعد اندلاع ثورة سيسغا 238م³.

¹ Cagnat (R.), L'armée, Op.cit., p. 63.

² Anonyme, Antiquité du cercle de tenés, Op.cit., p.431.

³ فوكة (م.)، مناطق سهل الشلف في ظل الإحتلال الروماني في الفترة الممتدة من ق 1 م إلى ق 3م، مجلة عصور الجديدة، مختبر البحث التاريخي، جامعة وهران، العدد 11 و 12، 2013-2014، ص 16.

ورغم كل هذه التعزيزات فإن الثوار بقيادة سيسغا Sisaga تمكّنوا من محاصرة مدينة شلف وتدميرها سنة 253م، وقد تمكّن من خلالها فالريان (Valerian) من الانتصار على الثوار.

وفي سنة 255م، ارتقت مدينة كاستيلوم-تاجيتانيوم- (الشلف) إلى مصاف المستوطنات، وقد حظيت هذه الخطوة كما بيّنته النقيشة على يد الإمبراطور قاليانوس¹ (Gallien).

نستنتج من خلال ذلك أنّ روما رمت بكل ثقلها بعد أن امتد لهيب الثورة في موريطانيا القيصرية، وأنّ العديد من القبائل التي ذكرتهم نقوش شاركت فيها والتي سمّيت فيما بعد بثورة الأهالي الغاضبين المتمردين خاصة البوار الغربيين حسب كامبس حيث تعتبر الونشريس إحدى معاقلها، والبقواط في الشرق الذين استوطنوها مدة من الزمن وخزّبوا إحدى مدّتهم بعدما قامت سلطات الاستعمار إلى زحفهم إلى أقصى الغرب من موريطانيا القيصرية، كما أبرزت هذه الثورة عن مدى وعي الأهالي بالمستعمر ورفضهم لسياسة الترومنة الفاشلة والتي بقيت سطحية ومنحصرة في فئة قليلة منهم.

رابعاً: ثورة فيرموس: 372-375م:

لقد حظيت منطقة الونشريس كغيرها من المناطق التلية الشمالية بهذه الثورة التي نسبت إلى الثائر فيرموس (Firmus).

نقل فيرموس ثورته نحو الونشريس التي كانت تستوطنها مجموعة من الأهالي الغاضب والمغازيكس، وعندما أدرك تيودوز أنّ فيرموس يتحايّل لربح الوقت²، فأسرع إلى تبيّازة واستقبل وفد قبيلة المغازيكس المرابطة بالونشريس وأخبرهم بأنّه سيقود جيشه ضدهم بسبب مساندتهم لفيرموس³.

انتقل تيودوز من تبيّازة إلى شرشال حيث كلّف الفرقة التراكية الأولى والثانية بمرافقته ثم خرج ليحتل زوكابار (مليانة) وهنالك أمر باعدام فرسان الكتيبة الرابعة المسلحة بالسهم (Cohortes Equitae Sagitariorum) وبعض مشاة الفرقة فافيا فيكتريكس قسطنطا (Alae Victrix Costanta) بسبب

¹شرايف (س)، المرجع السابق، ص. 177.

²Gsell (St.) Observations, Op.cit., p.35.

³Marcellin (A.), XXIX, .5.17.

انضمامهم إلى قوات فيرموس¹ وباعدام بلانس (Bellenes) أحد قادة مغازيكس وفريكوس (Fericus) الذي عينته روما على قبيلة مغازيكس بالونشريس².

تقدّم ثيودوز جنوباً إلى تيغافا أو الخربة ثم إلى كاستيلوم تانجيتانيوم (شلف) حيث التقى بالمغازيكس وقتل كل من لم يستطع الفرار منهم، ثم تعقب قوات فيرموس شمالاً إلى مليانة فوصله خبر تحالف مجموعة من قبائل الموزون والبور، ويشير أميان بشأنها أنّ كيريا (Cyria) أخت فيرموس كانت وعدت تلك القبائل المورية بمكافأتهما في حالة وقوفها إلى جانب أخيها، فأثارت تلك القوة الرعب في أواسط الجيش تيودوز ودفعته إلى التراجع جنوباً إلى قبيلة مغازيكس بعد أن أقدم جموع الأهالي الغاضب على انتقامهم من العنصر الروماني، فقرّر اللجوء إلى سلاح آخر وهو المال وتمكن بهذه الوسيلة من تجنيد العدد الهائل من المور في صفه ووعدهم بالأمان والمكفأة إن هم تخلوا عن فيرموس³.

في تلك الأثناء التجأ فيرموس إلى أحد أهم حلفائه وهو إيغماسن (Igmassen) زعيم قبيلة (Isaflenses) بجمال التيطري واستجمع قواته من جديد بمساعدة أخيه مازوكا وأرسل موفدين إلى القبائل النوميديّة طالباً لتكثيف الهجوم على المراكز العسكرية والمعمرين وأعاونهم لتفريق جموعها⁴، ثمّ قاد جيشه بمعية أخيه وإيغماسن توجيه ضربات من الخلف لتيودوز⁵.

انتبه القائد الروماني تيودوز إلى خطة فيرموس فعهد بمواصلة إخضاع المازيكس المرابطة على سفوح الونشريس لأحد قادته حسب (Leveau.Ph.)⁶، وأسرع باتجاه فيرموس وفي الحرب أصيب مازوكا بجروح بليغة وانسحب إيغماسن إلى الهضاب المجاورة بانتظار التحاق فيرموس استعداداً لخوض المعركة⁷، واضطر تيودوز إلى التراجع منتظراً

¹ منصورى (خ.)، دوناتية، المرجع السابق، ص. 257.

² Marcellin (A.), XXIX, .5.18.

³ Gsell (St.), Observation, Op.cit., p.35.

⁴ Ibid. p.35..

⁵ Marcellin (A.), XXIX, .5.33.

⁶ Leveau (Ph.), L'Aile II, Op.cit., p.171.

⁷ العقون (م.ع) ، الونشريس، المرجع السابق، ص. 28.

وصول المدد إليه¹، وهي الفرصة التي ضيعها فيرموس حينما لم يتعقب الجيش الروماني المنهك وظلّ ثابتاً في معسكره².

ما إن وصل المدد إلى تيودوز من تيبازة والقيصرية وبادر هذا الأخير إلى حيلة أخرى فيها إغمازن على أن يكون ملك على عدة قبائل فعبر الطريق إلى سور الغزلان³، حيث هاجم القبائل إيسالنس وعاد إلى سطيف مروراً بأوييدوم ليستأنف الحرب ضد القبائل الإيسافلاسن المخالفة لفيرموس⁴، وبعد انهزامها ونظراً لحرص ملكها إغمازن على حياته وسلامة ملكه تحالف مع ثيدوز ونكث الحلف بينه وبين فيرموس وساعد الرومان في محاولة القبض على فيرموس، حيث طلب من القائد الروماني في تكثيف هجومه ضد أفراد قبيلته، ولما اشتدت المعركة بين الجيشين، انهزم فيرموس وحاول الهرب لكن إغمازن تمكن من القبض عليه، ولكن انتحاره حرم هذا الأخير من شرف تسليمه حياً لتيودوز الذي بعدما تأكد من جثة فيرموس عاد إلى سطيف⁵ (Sitifis).

وخلاصة القول أنّ فشل فيرموس في تحقيق هذا الهدف لا يعني نجاح السلطة الرومانية في فرض سيطرتها على شمال إفريقيا*، بحيث لا تمضي عشرون سنة على قمع ثورة فيرموس لم تنطفئ جذوة المقاومة وستستمر مع قائد آخر من ذات العائلة هو قيلدون (Gildoun)⁶.

وإذا كانت سلسلة المقاومات هذه لم تحقق انتصاراً ساحقاً على الجيوش الرومانية النظامية المحترفة فإنّها نجحت في إضعاف الهيمنة الرومانية التي لم تصمد أمام الاكتساح الوندالي بعد ذلك فاسترد الونداليس استقلاله طيلة

¹Marcellin (A.), Loc.cit, XXIX, .5.35.

²Gsell (St.), Observation, Op.cit., p.37.

³حارش (م.ل.)، ثورة فيرموس ودونانية (372-375م)، مجلة الدراسات التاريخية، العدد السابع، الجزائر، 1993، ص.15.

⁴Marcellin (A.), XXIX, .5.42.

⁵ Ibid, XXIX, .5.51.

* لم يكن القائد تيودوز أحسن حالاً من فيرموس، وإذا كان فيرموس قد سجّل اسمه في سجّل الخالدي فإن تيودوز الذي خاض حرباً إجرامية وُجّهت إليه تهمة الشهرة الزائفة بعد صراعه مع رومانوس الذي كان قد خلعه في بداية عملياته الحربية وكانت نهايته الإعدام في قرطاج.

⁶العقون (م.ع)، الونداليس، المرجع السابق، ص.28.

القرنين V و VI بحيث لم تخضع لا للوندال ولا للبيزنطيين وعاش في كنف ملوكه إلى أن وصل الإسلام إلى ربوعه فوفد أحد زعماء زناتة وهو صولات بن أوزمار على الخليفة عثمان بن عفان في المدينة ليعلن إسلامه وإسلام قومه.¹

¹ ابن خلدون (ع)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج7، دار الكتاب مكتبة

المدرسة، بيروت، 1983، ص.27.